الأهرام

المصدر : الاهرام ١٩٩٧/١٢
التاريخ : ٣١ ديسمبر ١٩٩٦

جرائم قتل الأسرى في وثيقة أدبية إسرائيلية

تسربت منذ العام الماضي أنباء في الصحافة الإسرائيلية عن قتل أسرى مصريين خلال اعوام ١٩٥٦ و١٩٦٧ عندما تقدم الصحفي والسياسي الإسرائيلي يودى افنيري بشكوى ضد العميد اريه بيرو واثنين من الضباط المتقاعدين وأكد ضرورة محاكمتهم كمجرمي حرب. وقد وصف افنيري مافعله العسكريون الإسرائيليون في الاسرى المصريين بانه نموذج لممارسات فرق العاصفة النازية.

غير أن الدبلوماسية الإسرائيلية لم تسلم ببساطة بحق مصر في المطالبة بتحقيق شامل حول هذه القضية ذلك انها اتبعت تكتيكا اخر من شانه أن يضع مصر وإسرائيل في كفة واحدة من الناحية الأخلاقية والسياسية او من ناحية المساءلة القانونية الا وهو الزعم بقيام مصر بقتل أسرى إسرائيليين خلال عام ١٩٧٣ غير ان هذا الزعم تعوزه الأدلة والقرائن ويبدو كجزء من حملة إعلامية. ولو امتلكت إسرائيل مثل هذه الأدلة لما ترددت في القيام بحملة دولية واسعة النطاق كما فعلت في العديد من المناسبات.

لقد سجل الأدب الإسرائيلي في بعض الأعمال الأدبية المعاصرة جرائم قتل الأسرى العرب من جانب بعض القيادات العسكرية الإسرائيلية. ففي رواية «حادثة الابلة» التي صدرت عام ١٩٦٠م سجل الأديب الإسرائيلي المعاصر «اهارون ميجد» جريمة قتل أسرى مصريين إبان حرب ١٩٥٦م. وقد عرض الأديب في هذه الرواية محاكمة لجندى - بطل الرواية - كان قد كلف بنوبة حراسة ثم صدرت له التعليمات بدخول المعسكر وإطلاق النيران على المعتقلين ولكنه لم يمتثل لهذه الأوامر وتجمدت يداه ولذا تم تقديمه للمحاكمة. وفي المحاكمة تبرز عناصر القضية واضحة من خلال الحوار بين القاضي العسكري والجندى الذى يتمتع بنزعة ضميرية انسانية وقد ورد التبرير التالي من الجندى الرافض لتنفيذ أوامر القتل للأسرى العزل رداً على القاضي فيقول الجندى بأن «هذا لم يكن منطقيا لأنهم لم يكن باستطاعتهم الدفاع عن أنفسهم» فضحك القاضي بسخرية وقال: «أي انك أردت تبرئة نمتك أكان من الأنسب لك أن يقوم الآخرون بتنفيذ المهمة هل كنت على استعداد للتضحية بحياة اخوانك لكي تنقذ ارواح القتلة. اننا لو اعتمدنا عليك لهلكنا جميعا. نلاحظ من الحوار السابق أن الكاتب أبرز التصرفات اللاانسانية تجاه الاسرى العرب من قبل الجيش الإسرائيلي وسلط الأضواء على الجندى «بطل الرواية» الذى يمثل الطرف المناصر للعدل والرافض للقتل والابادة ممثلا للجانب الانساني، والقاضي العسكري الذى يتهم الجندى بالخيانة والتقصير ممثلا للجانب اللاانساني للعسكرية الإسرائيلية الإجرامية.

السفاح اريه يعترف

ولاشك ان هذا العمل الأدبي هو بمثابة وثيقة تاريخية، رصد الأديب فيه وقائع واحداث وقعت اثناء حرب ١٩٥٦ وقد كان هذا الرصد معبراً عن الزمان والمكان. ويبدو اننا لسنا في حاجة الآن إلى الاستناد إلى هذه الوثيقة الأدبية لاثبات هذه الجريمة وذلك لان صحيفة «يديعوت أحرونوت» الإسرائيلية نشرت تصريحا صريحا بتاريخ ١٩٩٥/٨/٤م للعميد احتياط اريه بيرو يلقي فيه على نفسه المسئولية المباشرة لتلك المذبحة التي حدثت في حرب سيناء «١٩٥٦» فقد ذكر قائلا : «انا الذى اطلقت النار على الأسرى المصريين في ممر متلا».

لكن بيرو الذى كان ضابطا في كتيبة رافائيل لديه مايقوله فقي شرفة منزله في هرتسليا ويعد أن أصبح من أرباب المعاشات ويرتدى بنطلونا قصيرا - كما تقول الصحيفة الإسرائيلية - من الممكن أن يتحدث بصراحة ولايحاول أن يحتمي في أى شخص أو يختفي وراء ظهر أى أحد. يقول بيرو : «لقد كنت انا البطل الرئيسي في هذه القصة وأكثر من رافائيل أيتان، هذا هو بالضبط مأورد في صحيفة «يديعوت أحروونوت» الإسرائيلية والغريب أن هذا السفاح الإسرائيلي يعتبر نفسه بطلا، فقتل أسرى الحرب العزل هو بمثابة بطولة في نظره.

شريعة الحرب ومعاملة الاسرى في التوراةتوجب شريعة الحرب عند اليهود في التوراة وبقية الكتب اليهودية المقدسة على الإسرائيليين بعد انتصارهم على بلد ما أن يضربوا رقاب جميع رجالها البالغين بحد السيف فلايبقوا على أحد منهم بل ويسترقوا جميع نسائها واطفالها ويستولو على جميع مافيها من مال وعقار ومتاع.

واشتهر اليهود بقسوتهم في معاملة أسراهم فمن خلال ماورد من فقرات في التوراة الحالية التي بين ايدينا يتضح كيف كان اليهود يعاملون اسراهم معاملة وحشية لم تعرفها البشرية سواء في الزمن القديم أوالحديث وسنأتى ببعض النصوص التي تدل على هذه القسوة. فقد ورد في سفر التثنية (٢٠/٢٣ - ١٦) : «ان لم تسالمك «يا إسرائيل» مدينة بل عملت معك حربا فحاصرها واذا دفعها الرب الهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل مافي المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك وتاكل غنيمة اعدائك التي اعطاك الرب الهك. وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك نصيبا فلاتستبق منها نسمة ما».

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

ويقص علينا سفر العدد «٣١/٩-١٨» مأثر بنى إسرائيل المتصدرين على اهل مديان» والذين قتلوا جميع الرجال» كما أمر الرب موسى - وأسروا النساء، وحرقوا كل المدن». وحينما عادوا إلى موسى.. غضب موسى منهم وقال: ماذا؟ لقد ابقيتم جميع النساء على قيد الحياة؟ حسنا هيا اقتلوا الآن كل الصبيان، وكل النساء اللائى جعهن بالرجال حضن الزوجية. أما الفتيات فاستبقوهن لأنفسكم». وعودة الى سفر يشوع «خليفة موسى» «٦/٢٠-٢١» : «وصعد الشعب «الإسرائيلى» إلى المدينة «اريحا» وأخذوا المدينة وحرموا كل مافيها : من رجل وامراة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف» ولفظ التحريم هنا يعنى الإبادة.

ولم يكن هذا التقليد وقفا منذ ايام موسى عليه السلام أو يشوع خليفته كما جاء فى توراة اليهود بل امتد إلى عهد داود عليه السلام حيث يقولون إنه كان يقتل الاسرى جملة. فقد جاء فى سفر صموئيل الثانى «٣١/١٢». وأخرج داود الشعب ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفئوس حديد وأمرهم فى آتون الآجر وهكذا صنع بجميع مدن عمون».

ونحن هنا إنما ننقل ملجاء من روايات فى التوراة الحالية ونزيا بسيدنا موسى وسيدنا داود أن يوصفا بهذه الأوصاف فهما نبيان لاينصفان إلا بالخلق الحسن.

وقد ورد فى سفر الاخبار الثانى : «وأما امصيا «أحد ملوك اليهود» فتشدد واقتاد شعبه وذهب إلى وادى الملح وضرب من بنى ساعير عشرة الاف وعشرة الاف احياء سباهم «أسرهم» بنو يهودا وأتوا بهم إلى رأس سالع وطرحوهم عند رأس سالع فتكسروا جميعا».

ويطول بنا الحديث لو أحصيت اسلوب تعامل اليهود مع ابناء الأمم الأخرى اثناء الحروب قديما ولكننى اكتفيت ببعض. وقليل من الحوادث لمجرد الاستدلال بها ذلك الاسلوب الذى احتذى به اليوم الضابط اليهودى أرييه بيرو وشريكه رافائيل ايتان فى تعاملهما الاجرامى مع الاسرى العزل ولمزيد من أحداث القتل والذبح والتخريب والتدمير انظر مثلا سفر العدد ٨/٢٤، ١٧ - ١٨، ٧/٣١ - ١١، ٥٠/٣٣ - ٥٦ وسفر التثنية ٢١/٧ - ٢٤، ٣١/١٢ - ٣٧.

حجة قانونية دعائية

وقد ذكر مستشار الحكومة الإسرائيلية القانونى طبقا لمانشرته صحيفة «هتسوفيه بتاريخ ١٩٩٥/٨/٣٠ انه ليس من الممكن التحقيق فى قضية قتل الاسرى المصريين فى حرب ١٩٥٦ أو ١٩٦٧م ومحاكمة المسئولين عنها بعد أن مضى مايقرب من أربعين عاما على وقوع هذا الحادث.

وماجاء على لسان المستشار القانونى يجسد السلوك الملتوى وغير المنصف تجاه قضايا الأخلاق وحقوق الانسان كما ورد فى صحيفة «معاريف» الإسرائيلية نفسها بتاريخ ١٩٩٥/٩/١، ففى الستينات تم الغاء قانون يتعلق بالتقادم فى جرائم الحرب ومن بينها قتل الاسرى غير ان ذلك كان فقط من أجل قتل الاسرى اليهود فى اوروبا فى الحرب العالمية الثانية اى أن المشرع الإسرائيلى رأى فيما فعله جنود المان من تنكيل وتقتيل بالاسرى او المعتقلين الذين لاحول لهم جريمة لاتغتفر أبدا، أما عندمايفعل ذلك جنود إسرائيليون، فانه قتل عادى يمكن غفرانه وعشرون عاما كفيلة بمحو آثاره.

إن هذا المبدأ الانتقائى والمزدوج يفسر لنا، كيف انه فى نفس الوقت الذى اتهمت فيه إسرائيل دولا أخرى تقبل مبدأ التقادم بالنسبة لجرائم الحرب، فانها تتهرب هى نفسها من الانضمام إلى ماأقرته الأمم المتحدة بمنع التقادم على جرائم الحرب فى أى وقت وفى أى مكان.

ولهذا فان هذه الحجة القانونية التى خرج بها علينا المستشار القانونى للحكومة الإسرائيلية هى حجة دعائية تفتقد المصداقية فالعبرة والمعيار فى مثل هذه الجرائم والمعروفة بجرائم الحرب هى التشريعات والاتفاقات الدولية بالذات اتفاقيات جنيف، أما التشريعات الإسرائيلية التى يتناقض منطوقها مع التشريعات الدولية بصدد هذه الجرائم فمصيرها إما التطور والتجديد فى اتجاه نفيس التناقض بينها وبين التشريعات الدولية، أو ان تترك لحالها ويكتفى بتطبيق التشريعات الدولية.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية